

إثبات الإعجاز بالغيب في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾*

د. عبد الرحيم خير الله عمر الشريف**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١١/٢/١٧ م

تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/٩/١١ م

ملخص

تتناول الدراسة إثبات الإعجاز بالغيب في قوله تعالى ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [٦٧: المائدة]، والرد على شبهة تناقضه مع أحاديث صحيحة يفهم منها وفاة رسول الله ﷺ متأثراً بالسّم الذي وضعت له المرأة اليهودية بخبير. وقد اشتملت الدراسة تمهيداً سيتم فيه عرض الشبهة المتعلقة بالقضية، وتحرير محل النزاع. ثم المبحث الأول: وفيه تعريف بالنصوص محل الدراسة، ويشمل مطلبين: الأول تناول تفسير الآية الكريمة، والثاني تخريج الحديث الشريف. ثم المبحث الثاني: وفيه مناقشة دعوى تناقض الإعجاز بالغيب في الآية الكريمة مع أحاديث صحيحة أفادت وفاة رسول الله ﷺ متأثراً بالسّم، وذلك من خلال تقسيم المبحث إلى خمس مطالب، ثم الخروج بالنتيجة وهي: إثبات وفاة النبي ﷺ متأثراً بالسّم، وعدم تعارض ذلك مع الآية الكريمة.

Abstract

This study deals with the confirmation of the miracle of telling the unseen in the verse "Allah will protect you from mankind" [The Table, 67]. The study also responds to the suspicion of the verse's incompatibility with the sound Sayings which entail that the Messenger of Allah had died of poison given by a Jewish woman from Khayber.

The study involves an introductory section in which I will present the suspicions aroused and the illustration of the dispute of the case. Then the first topic which involves the identification of the texts covered by this study; and this includes two requirements: first, addressing the interpretation of the holy verse, and verifying the authenticity and the Saying from its different resources of narration.

In the second section, I discuss the false assumption of the existence of contradiction between the miracle of telling the unseen in the verse with the Sayings that report the death of the Messenger of Allah, and which imply that he had died of poison. In this regard, I divide the section into five premises, then I will deduce the result that the case of the death of Prophet of poisoning is affirmed, and this does not disagree with the message of the holy verse

مقدمة:

كثيراً ﴿٨٢: النساء﴾. كما يؤمن المسلمون بأن كلاً من القرآن

وصحيح السنة نصوص موحى بها من عند الله ﷻ ، فلا تناقض لآية مع آية، ولا لآية مع حديث صحيح.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

موضوع الدراسة وأهميتها:

تتناول الدراسة إثبات صدق الإعجاز بالغيب في قوله تعالى ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [٦٧: المائدة]، وأنه لا يتعارض مع قول النبي ﷺ حين اقترَبَ أجله: مَا أَزِلُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَبِيرٍ فَهَذَا لَوْ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ".

يحاول الطاعنون في الوحي الإلهي إثبات وجود تناقض فيه؛ لأن التناقض دليل بشرية مصدره، وعدمه وجه من وجوه إعجازه، قال تعالى: ﴿لَا يَتَدَبَّرُ وَهْلُ الْقُرْآنِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

* نشر بدعم من عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة الزرقاء/ الأردن.

وتتبع أهمية البحث؛ لما فيه من إثبات صحة القرآن

** أستاذ مساعد، جامعة الزرقاء الأهلية.

الكريم وسلامته من الخطأ والزلل، وإثبات صدق الوعد الإلهي لسيدنا محمد ﷺ بعصمته من أن تصل أيدي من يريدون اغتياله إلى تحقيق مرادهم.

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى إثبات أمرين رئيسين:
١. عدم تناقض الآية الكريمة التي وعدت النبي الكريم ﷺ بالعصمة من الناس، والحديث الذي أثبت وفاة الرسول ﷺ بسبب السم.
- بيان الإعجاز البياني والغبيي في الآية الكريمة، والإعجاز الغبيي والعلمي في الحديث الشريف.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أي دراسة تناولت إثبات وجوه الإعجاز المختلفة لنصَي الآية والحديث محل الدراسة، والتوفيق بين النصين وإثبات عدم تعارضهما بالأدلة العقلية والتاريخية، وإن كانت هنالك بعض الآراء الواردة في جزئية تفسير الآية الكريمة وإثبات إعجازها بالغيب، أو شرح الحديث الشريف وإثبات إعجازه العلمي، ولكن بدون توسع كما توسعت هذه الدراسة.

وأقرب دراسة إلى هذه الدراسة: ما تقدم به الباحث أ.د. مجاهد أبو المجد إلى مؤتمر الإعجاز العلمي السابع تحت عنوان: "الإعجاز العلمي في حديث الأبهـر"، وعرضه في المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الذي عُقد بدبي بتاريخ ٢٤ ٢٠٠٤م، وقد تناول فيه الموضوع من جهة الإعجاز العلمي في حديث الأبهـر- تأثير سم الزرنـيخ على الشريان الأبهـر ، بينما بيّنت هذه الدراسة وجوه إعجاز أخرى تزيد تأكيد صحة الخبر الغبيي بعصمة النبي ﷺ من الناس، كما أثبتت هذه الدراسة صحة ما ذهب إليه الباحث أ.د. مجاهد أبو المجد من خلال الرجوع إلى مراجع علمية أخرى.

محددات الدراسة:

الغرض الرئيس لهذه الدراسة: التوفيق بين النصين

محل الدراسة، وإثبات وجوه الإعجاز في كل نص من النصين، ولن يبسـرط الباحث مختلف الآراء في تفسير النصين، ولن يتوسع في بيان أسباب النزول وتخريج الأحاديث وتتبع رواياتها؛ حتى لا تخرج الدراسة عن هدفها الرئيس، والتزاماً بالمسموح به من عدد الصفحات، وسهولة الوصول إليها في مظانها.

منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي: لعرض الدعوى، ولتحرير محل النزاع. ثم منهج القياس المنطقي: من خلال ذكر مقدمات خمس واستنباط النتيجة منها. وفي أثناء الدراسة سيتم استخدام المنهج الاستنباطي: لاستنباط أبرز وجوه إعجاز النصين مدار البحث.

تمهيد

عرض الدعوى:

ورد في أحد مواقع الإنترنت غير الإسلامية السؤال التالي- منقولاً بتصرفت (١):

جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: "يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم".

لقد وعد الله ﷻ أن يعصم نبيه ﷺ من أذى الناس وذلك في قوله سبحانه **﴿يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** [٢٧]: المائدة، لماذا لم يعصم الله ﷻ محمداً ﷺ من الوفاة بسبب السم؟ ألم يعلم بوجود السم؟

رفع الله ﷻ المسيح ﷺ إلى السماء عندما كانت النتيجة ستؤول إلى مقتله؛ تكريماً له، فهل كرامة نبي الإسلام ﷺ أقل عند الله ﷻ من المسيح ﷺ حتى يسمح لليهودية بأن تقتله بالسم؟

تحرير محل النزاع:

يزعم كاتب النص عدم صدق الوعد الإلهي الوارد في الآية الكريمة، ليستند إليه على عدم إلهية محل الوعد (القرآن الكريم) لأن الإله المعبود بحق صادق في

وعده؛ قال تعالى: ﴿مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [٨٧]: أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ تَخَشَّ أَحَدًا وَلَا يَهْمُنُكَ شَيْءٌ النِّسَاءِ]، وَقَعْلِدَ اللَّهُ دَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [١٢٢: النِّسَاءِ] وَتَقَالَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صَدَقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١١٥: الأَنْعَامِ].

في هذه الدراسة إثبات صدق الإعجاز بالغيب الوارد في الآية الكريمة، وعدم تعارض الآية مع الحديث الشريف الذي يدل على وفاة رسول الله ﷺ شهيداً متأثراً بالسّم، كما سيتم بيانه في المباحث الآتية:

المبحث الأول

فهم النصين محل الدراسة

تدور الدراسة على نصين: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْصِدُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ [٦٧: المائدة]، وحديث: كَانَ النَّبِيُّ يَقُولُ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: عَائِشَةُ، مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ فَهَذَا أَوْ أَنْ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ، وسيتم بيان النصين محل الدراسة في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تفسير الآية الكريمة:

أولاً: تفسير الآية إجمالياً:

قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا يَكُ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعَصِدُكُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [٦٧: المائدة].

أي: يا رسول الله ﷺ بلغ رسالة ربك غير مراقب أحداً، ولا خائفاً من أن ينالك مكروه، وإن كنت شيناً منها - وحاشاه ﷺ - فكانك كتمتها كلها؛ لأن بعضها ليس أولى من أداء بعض، والله ﷻ يضمن لك عصمتك ممن يريد مكروهاً بك، فلا يوجد ما يمنع تبليغك الرسالة، حتى لو كان قلة الأتباع وكثرة المعارضين، واعلم أنما عليك البلاغ فقط، فلن تسأل عن يرفض الهداية جحوداً وكبراً وعناداً^(٢).

ويرى الشيخ عبد الحميد كشك أن تقدير الآية الكريمة كما يلي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع (مَا

والعصمة من الناس تشمل القتل والفناء، أما الشدائد والحروب فتصنع الرجال، وتظهر صدق الإيمان، وتميز الصادق من الدعيل، (اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) مِنْ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ لِيَقْتُلُوكَ^(٣).

ثانياً: من أسرار إعجاز التعبير البياني في الآية الكريمة^(٤):

- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ نادى الله ﷻ نبيه ﷺ بصفة الرسالة؛ ليفيد كمال التشريف؛ فالرسول مصطفى من الله ﷻ (اللَّهُوَأُولُوهُ لَمْ دِيْتُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [١٢٤: الأَنْعَامِ].

- ﴿بَلِّغْ﴾: التبليغ هو جعل الشيء بالغاً، والبلوغ الوصول إلى المكان المطلوب وصوله.

والأمر بالتبليغ للرسول المبلغ مستعمل في طلب الدوام على التبليغ مهما حصل، كقول الله ﷻ عند طلب الاستمرار على الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [١٣٦: النِّسَاءِ].

- ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: أوصل إلى الناس كل ما أنزله الله ﷻ إليك، وبما أنه منزل من الله ﷻ إليك وحدك، فأنت أولى بالبلاغ من غيرك.

و(مَا): من ألفاظ العموم؛ أي: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك فلا تخف أو تؤجل شيئاً مما أمرت بتبليغه لأي سبب.

- ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾: كن مطمئناً بأن مالك أمرك الذي ربك وكلارك بعنايته، لن يتركك لعدوه، بل سيمنعك حتى تتم تبليغ الرسالة.

و(إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلِّغْتَ رِسَالَتَهُ): (الواو) استئنافية، وإن (شرطية، وَلَمْ تَفْعَلْ) فعل الشرط، و(الفاء) رابطة للجواب، و(مَا) نافية، وجملة (بَلِّغْتَ) في محل جزم جواب الشرط.

وفي اتحاد الشرط وجوابه سرٌ بديع؛ فلا بد أن يكون الجزاء مغايراً للشرط لتحصل الفائدة، ومتى اتحد

اختل الكلام؛ لأنه يؤول ظاهراً إلى: (إن لم تفعل فما فعلت)، ولكنه أراد أن يتحدا؛ لأن عدم تبليغ الرسالة أمر معلوم ضد الناس، مستقر في الأفهام أنه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه، ولأن عدم نشر العلم من العالم أمر يستوجب المذمة، فما بالك بالرسالة؟ فجعل الجزاء عيني الشرط؛ ليتضح مدى الاهتمام بالتبليغ.

ولم يقل: (إن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة) ليتغايروا لفظاً وإن اتحدا معنى، وهذا أحسن رونقاً وأظهر أسفه من قبة آدم، وقالوا: فإياها الناس فقد طلوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء.

وَاللَّهُ يَعَصِدُكُمْ مِنَ النَّاسِ ۖ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بذكره القلوب، وتعود إليه كل الأسماء الحسنى، والمتصف بكل صفات الكمال يتكفل بعصمتك من اغتيال المشركين، فعليك البلاغ وعلينا عصمتك ما دام الدين لم يكتمل وما دام الناس بحاجة؛ لأن ذلك هو الذي كان يهم النبي ﷺ إذ لو استشهد قبل تمام إبلاغ الهدى؛ لما اكتمل الدين، ولتكلف الناس ما لا يطيقون.

المطلب الثاني: تخريج الحديث الشريف والحكم على صحته:

قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: كَانِ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَأْتِيهِ عَائِشَةُ، مَا أَزَالَ أَجْدُ أَلَمِ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ فَهَذَا أَوْ أَنْ وَجَدْتُ قَطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِ^(٨). ويصح الاحتجاج بهذا الحديث على وفاة الرسول ﷺ شهيداً متأثراً بالسّم؛ للأسباب الآتية:

أولاً: تصريح عدد من العلماء بصحة الحديث: كالحاكم، والذهبي^(٩)، وابن الجوزي^(١٠)، والألباني^(١١)، وحسنه ابن الأعرابي^(١٢).

ثانياً: احتج بالحديث عدد من العلماء لإثبات أن الرسول ﷺ مات شهيداً، واحتجاجهم به قرينة تدل على صحته عندهم، من أبرزهم:

(أ) مفسرون استدلوا بالحديث لإثبات وفاة سيدنا محمد ﷺ شهيداً متأثراً بالسّم، أثناء تفسيرهم لآيات متفرقة من القرآن الكريم، منها:

+ قال تعالى في سياق سؤال يهود- سؤالاً إنكارياً:

وَاللَّهُ يَعَصِدُكُمْ مِنَ النَّاسِ ۖ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بذكره القلوب، وتعود إليه كل الأسماء الحسنى، والمتصف بكل صفات الكمال يتكفل بعصمتك من اغتيال المشركين، فعليك البلاغ وعلينا عصمتك ما دام الدين لم يكتمل وما دام الناس بحاجة؛ لأن ذلك هو الذي كان يهم النبي ﷺ إذ لو استشهد قبل تمام إبلاغ الهدى؛ لما اكتمل الدين، ولتكلف الناس ما لا يطيقون.

وَاللَّهُ يَعَصِدُكُمْ مِنَ النَّاسِ ۖ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بذكره القلوب، وتعود إليه كل الأسماء الحسنى، والمتصف بكل صفات الكمال يتكفل بعصمتك من اغتيال المشركين، فعليك البلاغ وعلينا عصمتك ما دام الدين لم يكتمل وما دام الناس بحاجة؛ لأن ذلك هو الذي كان يهم النبي ﷺ إذ لو استشهد قبل تمام إبلاغ الهدى؛ لما اكتمل الدين، ولتكلف الناس ما لا يطيقون.

وعبرَ بالفعل المضارع (عَصِدُكُمْ) للدلالة على الاستمرار والتجدد: استمرار العصمة من القتل وتجدها، مهما استمرت وتجددت وسائل المخططين.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۖ: يفيد أن ﷺ كلف رسوله ﷺ بالتبليغ ولم يعلق نجاح المهمة بكثرة عدد المستجيبين؛ فافهم يهدي من يشاء.

ويجوز أن يكون التفسير: الجزم بأن الكافرين لن يهتدوا إلى سبيل اغتياله ﷺ قبل إتمام البلاغ.

كلا التفسيرين جائز وذلك من باب التوسع في المعنى الموافق للغة، والسياق، وعرف القرآن الكريم، وأصول الإسلام، والله أعلم.

ثالثاً: المناسبة وسبب النزول:

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن اليهود واستهزائهم بالدين، فكان الأمر الإلهي للرسول ﷺ أن يبلغ الرسالة مهما وجد في طريقه من إساءات وتجريح، ويظهر من مناسبة الآية الكريمة مع السياق: تنبيه الرسول ﷺ والصحابه الكرام إلى أن أكبر خطر محتمل على حياة

أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ [البقرة].
جزم الألوسي أن رسول الله ﷺ: قتل حقيقة بالسّم الذي ناولوه على ما وقع في الصحيح بلفظ "هَذَا أَوْ أَنْ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ" (١٢).

وتحدث قبله ابن مفلح عن سر تعبير الآية الكريمة بالفعل المضارع (تَقْتُلُونَ) مغايراً للفعل الماضي (كَذَّبْتُمْ)، قال فظهر تأثير ذلك الأثر [أي: أثر السّم] لما أراد الله إكرامه ﷺ بالشهادة، وظهر سر قوله تعالى ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، فجاء (كَذَّبْتُمْ) بالماضي؛ لوقوعه، وجاء (تَقْتُلُونَ) بالمستقبل؛ لتوقعه (١٤). بحسب هذا التفسير: فإن في الآية الكريمة إعجازاً بالغيب: بإثبات وفاة رسول الله ﷺ شهيداً بسبب تأمر اليهود.

٢ قال تعالى ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقَرٍ بَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِكُمْ وَمِنْ بَيْنِ أَيْمَانِكُمْ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

قال محمد رشيد رضا في سياق حديثه عن علاقة يهود جزيرة العرب بالنبي ﷺ: "بل هم الذين قتلوه؛ فإنه مات بالسّم الذي وضعته له اليهودية في الشاة بخبير" (١٥).

٣ قال تعالى ﴿وَأَمَّا فَضْلُ اللَّهِ بِهِ بِعَضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ [النساء: ٣٢]. قال القرطبي: "أما التمني في الأعمال الصالحة فذلك هو الحسن، وأما إذا تمنى المرء على غيره .. فذلك جائز، وذلك موجود في حديث النبي ﷺ في قوله: "دُتُّ أَنْ أُدْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ" (١٦). قلت [القرطبي]: هذا الحديث هو الذي ضوّر به البخاري كتاب التمني في صحيحه، وهو يدل على تمنى الخير وأفعال البر والرغبة فيها، وفيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر؛ لأنه ﷺ تمنّاها دون غيرها، وذلك لرفع منزلتها وكرامة أهلها،

فرزقه الله إياها، لقوله: أَلَّتْ أَكْلَةَ خَيْرٍ تُعَادِي قُلَّ غَيْظًا [وَأَنْ انْقَطَعَتْ أَبْهَرِي] (١٧).

٤ قال تعالى ﴿لَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا...﴾ [٢٠: الفتح]. قال الثعلبي: "وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة" (١٨).

ملاحظة: احتج الألوسي بتقديم الموت على القتل في قوله تعالى ﴿مَدَّ إِلَيْنَا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] على أن رسول الله ﷺ لم يمت شهيداً، فقال: "الوصف الجامع في نفس الأمر بينه ﷺ وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الموت دون القتل، خلافاً لمن زعمه مستنداً بما ورد من أكلة خبير - وإن كان قد وقع فيهم قتل وموت - وإنما ذكر القتل مع علمه سبحانه أنه لا يقتل لتجوز المخاطبين له وآية ﴿وَلْيَعْصِمُ مَكَّ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]" (١٩).

ويمكن الجمع بين رأي الألوسي وما أثبتته هذه الدراسة من أدلة حول وفاته ﷺ شهيداً بأن الله سبحانه وتعالى عصم الأنبياء عن الموت شهداء في أثناء المعارك؛ لأن في ذلك فتنة لقومهم وشبهة عدم تأييد الله له، أما القتل فيما سوى المعارك فممكن بدليل اعتراف الألوسي بوقوع ذلك لعدد من الأنبياء، والله أعلم.

ب) محدّثون ومؤرخون وكتاب سيرة احتجوا بالحديث الشريف لإثبات وفاة سيدنا محمد ﷺ شهيداً متأثراً بذلك السّم، منهم: الزهري (٢٠)، وموسى بن عقبة (٢١)، وابن إسحاق (٢٢)، والواقدي (٢٣)، وابن سعد (٢٤)، وابن بطلال (٢٥)، وأبو العباس القرطبي (٢٦)، وابن الأثير الجزري (٢٧)، وابن القيم (٢٨)، وابن منظور (٢٩)، والمقرئزي (٣٠)، والسيوطي (٣١)، والصالح (٣٢)، وملا علي القاري (٣٣).

ثالثاً: ورود شواهد للحديث، منها:

١. عن أنس بن مالك: "أمر أمة يهودية أتت النبي ﷺ بشاة

مَوْمَنَهُ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أُرِيدُ قَتْلَكَ. فَقَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَيَّ. فَقَالُوا لِمَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنْتَقَلَبُهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ [أَنْفَى]: نَزَلَتْ أَعْرَفُهَا فِي هَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ (٣٤).

لو كان الرسول ﷺ يشك أدنى شك بصديق الوحي الإلهي - وحاشاه ﷺ - لَكَتَمَ الآية الكريمة، فالإنسان يستطيع الكذب على كل الناس، أما أن يكذب على نفسه فلا. وهذا ما لفت نظر أحد المستشرقين فقال: لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْحِفْظِ بِقَوْلِهِ ﷺ «يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ»، صَرَفَ النَّبِيُّ حِرَاسَهُ، وَالْمَرْءُ لَا يَكْذِبُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَلَوْ كَانَ لِهَذَا الْقُرْآنِ مَصْدَرٌ غَيْرُ السَّمَاءِ، لَأَبْقَى مُحَمَّدٌ عَلَى حِرَاسَتِهِ (٤٠).

لكن: كيف التوفيق بين الآية الكريمة والحديث الشريف؟

الجوابيبان مقدمات خمس ثم الخروج بالنتيجة، مفصلة بحسب المطالب الستة الآتية:

المطلب الأول: ثبوت صدق الإعجاز بالغيب لعدم الوفاء مباشرة من السم:

لو فرض جدلاً أن الأسباب المادية كانت تعمل دون تدخل العصمة الإلهية: الأصل أن يستشهد رسول الله ﷺ بعد أكل الشاة المسمومة بساعات؛ بسبب: نوع السم وتركيزه، وكمية السم، وتأثير السم على المعدة الفارغة، وتأثير السم على كبار السن، وزيادة سرعة امتصاص السم المتناول مع طعام ساخن، وضعف التقدم الطبي زمن الحادثة، والتقصير بما يلي:

أولاً: نوع السم وتركيز المادة السميّة:

الراجح أن السم الذي وضعت اليهودية في الشاة هو سم الزرنيخ؛ فالزرنيخ أكثر السموم المستعملة للاغتيال منذ زمن بعيد؛ لسهولة الحصول عليه، وشدة سميته، ومركباته تكاد تكون بلا لون أو طعم أو رائحة، فيسهل تقديمه مع وجبات الطعام والشراب دون ريبة (٤١). ولتلك الأسباب ما زال الزرنيخ يعد أكثر السموم المستخدمة في القتل العمد حتى في العصر الحالي (٤٢).

والذي يزيد من ترجيح نظرية أن السم الذي استخدمته

٢. عن أم مبشر - رضي الله عنها - قالت دخلت على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَتَّهَمُ بِنَفْسِكَ؟ فَإِنِّي لَا أَتَّهَمُ بِأَبْنِي إِلَّا الطَّعَامَ الذِّكْلِيَّةَ مَعَكَ بِخَيْبَرٍ وَكَانَ ابْنُهَا بِشَرُّ بَنِي الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَنَا لَا أَتَّهَمُ غَيْرَهَا، هَذَا أَوْ أَنْ انْقَطَعَ أَبْهَرِي (٣٥).

٣. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَلَأَ اللَّحْمَ الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ سَمَّتُهُ، فَاَنْقَطَعَ أَبْهَرُهُ مِنَ السَّمِّ عَلَى رَأْسِ السَّنَةِ، فَكَانَ يَقُولُ نَزَلَتْ أَجْدُ مِنْهُ دَسًا (٣٦).

٤. قول ابن مسعود ﷺ نَزَلَتْ لَدَيْهِ بِاللهِ تَسْعًا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ أَهْبَ إِلَى مِنْ أَنْ أَدْلَفَ وَاحِدَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَهُ نَبِيًّا، وَجَعَلَهُ شَهِيدًا (٣٧).

المبحث الثاني

نقد الشبهة

من أدلة نبوة سيدنا محمد ﷺ: عصمته من أعدائه الكثيرين، فمن معجزاته: عصمته من أعظمه وهم الجُمُ الغفير، والعدد الكثير، وهم على أتم حنق عليه، وأشد طلب لنفيه، وهو بينهم مسترسل قاهر، ولهم مخالط ومكاثر، ترمقه أبصارهم شزراً، وترتد عنه أيديهم ذعراً، وقد هاجر عنه أصحابه حذراً، حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليماً لم يَگَم في نفس ولا جسد، وما كان ذاك إلا بعصمة إلهية... (٣٨).

ما الذي دعا محمداً ﷺ لصرف الحراس عنه لو لم يكن متيقناً من صدق الوعد الإلهي له بالعصمة؟ عن عائشة - رضي الله عنها - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْرُسُ حَتَّى

أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ قبل لها: الكتف. فأكثرَت من السم في كتف الشاة وذراعها، ودليل الأكل من الكتف: أن رسول الله ﷺ - بعدما أكل من الشاة المصلية دعا اليهودية: فَقَالَ لَهَا لَمْ تَمُتِ هَذِهِ الشَّاةُ؟. فَقَالَتْ: نَعَمْ. أَخْبَرَكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَذَبَرَ تَنِي هَذِهِ فِي يَدَي الذَّرَاعِ^(٤٩).

وقال موسى بن عقبة: "... فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها"^(٥٠).

وعلى هذا فإن محمداً ﷺ أكل من الجهة التي تحوي كمية أكبر من السم، بينما بشر بن البراء ﷺ أكل من الجهة التي تحوي سمّاً أقل، لكن بشراً مات بسرعة- بعكس رسول الله ﷺ .

ثالثاً: تأثير السم على المعدة الفارغة:

الذي يعرف هدي رسول الله ﷺ في الأكل، يستنتج أن الرسول الكريم حين يكون مقبلاً على الأكل، فإن معدته تكون غير ممثلة بالطعام^(٥١)، والدراسات الطبية أثبتت أن الشخص حين يتناول الطعام المسموم في معدة خالية فإن امتصاص المعدة والأمعاء للسم والتأثر به سيكون أسرع^(٥٢).

وتم إجراء تجربة على سرعة تأثير السموم بحسب درجة امتلاء المعدة بالطعام، فتبين أن السم الذي يحتاج امتصاصه إلى ساعتين أو ثلاثة في المعدة الممتلئة، يحتاج أقل من ساعة في المعدة الفارغة^(٥٣).

وفي دراسة عن سم الزرنينج بالذات ثبت أن تتناول (٠,١٣) جراماً من الزرنينج أي مايعادل وزن قمحيتين يُصنُّ بشكل كامل في المعدة الفارغة بعد ربع ساعة من تناوله^(٥٤).

رابعاً: تأثير السم على كبير السن:

وقعت غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة^(٥٥)، وتوفي رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة وعمره ثلاثة وستون عاماً^(٥٦). إذاً؛ حين تناول رسول الله ﷺ الشاة المسمومة كان قد مضى من عمره ستون عاماً، والسموم تؤثر على كبير السن تأثيراً أكبر من

اليهودية هو الزرنينج: أعراض المرض التي ظهرت على رسول الله ﷺ بعد تناوله الشاة المسمومة، وأبرزها: تأثير الزرنينج على الشريان الأبهر- كما سيتم بيانه في المطلب الثاني بالتفصيل ، وتأثيره على اللهوات، فقد لاحظ المقربون من رسول الله ﷺ تغيراً فيها، قال أنس ﷺ: إِنَّ أُمَّرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ شَّاةً مَسْمُومَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا. زِلْتُ أَعْرِفُهَا فَلِهَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ^(٥٧).

وهذا ما أثبتته علم السموم: فالزرنينج يسبب التهاب اللهوات^(٥٨)؛ لأنها مغطاة بنسيج طلائي حشفي، يسبب التسمم تلف الخلايا الطلائية فيقتشّر النسيج الحشفي^(٥٩)، حتى إذا زال حدث التهاب.

لقد كان السم شديداً حيث استعانت المرأة اليهودية بأهل الخبرة من اليهود لاختيار أقوى السموم؛ ودلت مرويات السيرة النبوية على أن اليهودية كانت تعد لصنيعها منذ زمن، وأنها أخذت تسأل أهل الخبرة من اليهود عن أفضل السموم، فلما توصلت إلى أقوى سم: وضعته في الشاة.

قال القسطلاني: "إنها عمدت إلى سم لا يبطئ- يعني لا يلبث أن يقتل من ساعته- وقد شاورت يهود في سموم، اجتمعوا لها على هذا السم بعينه، فسمّت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتفين"^(٦٠).

كما يدل سياق الأحداث على أن أعيان يهود الجزيرة كانوا يعلمون بمخطط المرأة قبل تنفيذه، لثبوت أن رسول الله ﷺ سألهم: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ مَنْ حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ^(٦١).

ويستدل على شدة السم بأن بشر بن البراء بن معرور ﷺ أكل مع الرسول ﷺ من الشاة فمات سريعاً، كما طرَحَ جزء من الشاة إلى كلب فأكل منه، فلم يُتبع يده حتى مات^(٦٢).

ثانياً: كمية السم:

ورد في كتب السيرة أن اليهودية لمّا سألت عن

الشاب؛ لقلة عدد إنزيماته المضادة للسموم وضعف كفاءتها، وضعف المناعة، وقلة السوائل في الجسم بشكل عام^(٥٧).

كما أن صحة كبار السن غالباً ما تكون أضعف من صحة البالغين؛ فيكون تأثير السم عليهم أشد^(٥٨)، ولهذا يراعى وضعهم عند إعطائهم عقاقير تحتوي مواداً سمية.

خامساً: تناول الزرنبيخ ساخناً:

من عادة العرب أن الغداء المقدم إلى الضيف يكون ساخناً، واليهودية كان طعامها شاة مشوية، وامتصاص الزرنبيخ في الجسم أسرع إذا تم تناوله مع مطعوم أو مشروب ساخن^(٥٩).

سادساً: ضعف التقدم الطبي في ذلك الزمان:

لم يكن التقدم الطبي قديماً بحال التقدم الطبي زمننا الحالي، ولهذا فلا يستغرب في ذلك الزمن ضعف تشخيص التسمم والإسعافات الأولية والعلاج.

فأعراض التسمم بالزرنبيخ تشبه أعراض المغص المعدي والمعوي^(٦٠)؛ لهذا اختلط الأمر على الصحابة الكرام عليهم السلام، قال ابن عبد البر: أغمى عليه عليه السلام فظنوا أن به ذا الجنب^(٦١).

وذات الجنب: مرض باطني يصيب جنب الإنسان، وذو الجنب: الذي يشكي من جنبه^(٦٢). وذكر ابن القيم أن العرب تطلق (ذات الجنب) على أي مرض رخص في الجنب لأي سبب كان، وهو عند الأطباء نوعان: حقيقي: وهو ورم يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع، وغير حقيقي يشبهه، يعرض في نواحي الجنب إلا أنه ممدود، وبينما في الحقيقي نخس^(٦٣).

فالأصل - بعد كل تلك الاعتبارات المبيّنة أعلاه - أن تحدث الوفاة فوراً بعد تناول السم، ولكن الإعجاز بالغيب في وعد الله له بالعصمة منع ذلك، قال الزرقاني: "ومن المعجزة أنه [أي السم] لم يؤثر فيه في وقته"^(٦٤).

المطلب الثاني: ثبوت الإعجاز العلمي في حديث الأبهري:

أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة أن سم الزرنبيخ يؤثر

تأثيراً شديداً على الشريان الأبهر (وهو الشريان الرئيس في القلب) أحرز أ.د. مجاهد أبو المجد قصب سبق الربط بينها وبين الحديث، ومما ذكر^(٦٥):

أعراض سكرات موت المصطفى عليه السلام تشبه أعراض انقطاع الأبهر في الطب الحديث، وأبرزها:

١. آلام شديدة وحادة في منطقة الصدر.
٢. صعوبة الحركة.
٣. شحوب غير طبيعي في الوجه.
٤. عرق شديد.

ويضيف كاتب هذه الدراسة إلى ما ذكر أ.د. مجاهد أبو المجد: يؤدي التسمم بالزرنبيخ إلى تحلل جدران الأوعية الدموية وترققها، وسهولة انفجارها، وأحياناً يسبب تحلل الأوعية نزيفاً يؤدي إلى ضعف الدورة الدموية، مما يقلل من كمية الدم العائد إلى القلب، فيؤثر في كفاءة البطين، وهذا يتسبب بضعف وهبوط في القلب، يقوم حينئذ القلب بمحاولة ضخ الدم بقوة، فيؤدي إلى انقطاع الشريان الأبهر^(٦٦).

ولكن قد يُعكّر على هذا الرأي القول بأن رسول الله عليه السلام لم يجد بقطع الأبهر الحقيقة وإنما المجاز (كناية عن الموت). وجوابه أن الأصل حمل اللفظ على الحقيقة، ولا ينصرف عنها إلى المجاز إلا للضرورة ولا ضرورة هنا، ولم يجد الباحث أحداً من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام كنى عن الموت بانقطاع الأبهر، ولا يوجد ما يدل على استعمال العرب لهذا التعبير كناية عن الموت؛ وبناءً على تلك الاعتبارات: فإن رسول الله عليه السلام كان يقصد انقطاع الأبهر على الحقيقة لا المجاز، والله أعلم.

المطلب الثالث: ثبوت الإعجاز بالغيب في صدق الإرهافات التي أذنت بوقوع الوفاة في السنة الحادية عشرة للهجرة:

رغم كثرة محاولات اغتيال النبي الكريم، وجهاده في عشرات الغزوات، إلا أن العام الذي توفي فيه عليه السلام توافرت فيه إشارات نبوية تحمل إرهافات دالة على دنو أجله عليه السلام قريباً جداً، منها:

٤ عن جابر ر: أَيْتُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَ يَقُولُ خُذُوا مِنْ أَسْوَءِ مَا فِي الْأَرْضِ لَعَلِّي أُدْجِ بِعَدُوِّ هَذِهِ (٦٧).

ه قال العباس بن عبد المطلب ر: أَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ حُجَّةِ كَأَنَّ الْأَرْضَ تَنْزَعُ إِلَى السَّمَاءِ بِأَشْطَانٍ شَدِيدَةٍ، فَقَصَصْتُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ذَلِكَ وَفَاءُ ابْنِ أَخِيكَ (٦٨).

٦ عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، قَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأَهْلِ الْبَقِيعِ فَانْطَلِقْ مَعِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ وَخَّيْتُ بَيْنَ بَيْنِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ قَالَ: تَقْلِبْ بَيْنِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدِ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةِ، قَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهَبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَلِلْجَنَّةِ تَغْفِرُ لَأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَهُ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ وَعَوَّلَ فِيهِ دِينَ أُصْبِحَ (٦٩).

المطلب الرابع: ثبوت الإعجاز بالغيب في استجابة الله لطالب رسوله الكريم بأن ينال مرتبة الشهادة:

كان المصطفى ﷺ يسأل الله ﷻ أن يرزقه الشهادة، وَآلِقَالِي: نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ (٧٤).

٣ عن أبي سعيد الخدري ر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَّ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا يَكُونُ لِي الْمَدْرُ وَالْوَبَرُ (٧٥).

قال القرطبي: "حديث النبي ﷺ في قوله: دِدْتُ أَنْ أُحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ.. يدل على تمنى الخير وأفعال البر والرغبة فيها، وفيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر؛ لأنه ﷺ تمناه دون غيرها، وذلك لرفيع منزلتها وكرامة أهلها، فرزقه الله إياها" (٧٦).

ودعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جدير بالقبول؛ لما لهم من الجلالة والحلاوة والبيان والرونق والظهور في الفلاح (٧٧)، فلو لم يمت النبي الكريم ﷺ

لوماً للمسلمين على ذهولهم عن حفظ القرآن رسول الله ﷺ من أن يسلط عليه أعداؤه، ومن أن يخترم عمره قبل تبليغ الرسالة، وفي قوله: ﴿يَعَصِدُ مَكَ مِنْ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] المائدة عقب قِيلَ مَّا (أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) [٦٧: المائدة] الدال على أن عصمته من الناس لأجل تبليغ الشريعة. فقد ضمن القرآن له الحياة حتى يبلغ شرعه، ويتم مراده، فكيف يظنون قتله بيد أعدائه على أنه قبل الإعلان بإتمام شرعه؟ ألا ترى أنه لما أنزل قوله تعالى ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [٣: المائدة] الآية بكى أبو بكر وعلم أن أجل النبي ﷺ قد قرب، وقال: ما كمل شيء إلا نقص^(٨٢).

المطلب السادس: النتيجة:

نعم استشهد المصطفى ﷺ متأثراً بالسم، فبعد أن جمع القرآن له بين مقامات النبيين والصديقين والصالحين أضاف إليه مقام الشهداء، ليحوز الكمال البشري من جميع أطرافه.

حصلت له ﷺ الشهادة التي تمنها "ليجمع إلى منصب النبوة مقام الشهادة، ولا تقوته مكرمة؛ ولهذا كان ابن مسعود - وغيره يقول: مات شهيداً من ذلك السم"^(٨٣) شهيداً في سبيل الله كما كان يود، لكن بعد أن شارك في الغزوات، وأدى المناسك كاملة، وصام وقام ما شاء الله له أن يصوم ويقوم من أيام وليال، واستقبل الوفود، وتعامل مع أعداء الأمة من منافقين ويهود بحكمة معجزة، وأدار الدولة، ولجى حاجات الصحابة والصحابيات، وتحمل وأدى بلاغ القرآن الكريم ذاك القول الثقيل.. كله في ثلاث سنوات.

فالمتتبع للسيرة النبوية يجد أن أشهر الأحداث في السنة الهجرية السابعة (بعد فتح خيبر والأكل من الشاة المسمومة): دخوله ﷺ بمارية القبطية - رضي الله عنها، ومصالحة يهود فدك وتيماء، وغزوة وادي القرى، وزواجه من أم المؤمنين صفية، وغزوة ذات الرقاع، وعمره القضاء، وزواجه من أم المؤمنين ميمونة.

- في السنة الثامنة: إرسال عدد من السرايا، والإعداد

شهيدياً كما أحب، لتسائل الخصم: لو كان نبياً حقاً فلماذا لم يحقق القرآن أمنيته ﷺ بأن يموت شهيداً؟

المطلب الخامس: ثبوت الإعجاز بالغيب في

ربط العصمة بأداء البلاغ:

حين تتأمل الآية الكريمة تجد ربطاً بين العصمة من القتل والبلاغ، قال تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِدُ مَكَ مِنْ النَّاسِ [٦٧: المائدة]، فهناك تعلق بين (البلاغ) و(العصمة من القتل على يد الناس)، على تقدير: ﴿لَنْ يَكُونَ﴾ ﴿يَعَصِدُ مَكَ مِنْ النَّاسِ﴾.

لقد صدقت الآية الكريمة، وظهر صدق الإعجاز بالغيب فيها؛ فربطت العصمة من الناس بأداء الدعوة، حتى لما نزلت آية ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ وَعَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٣: المائدة] كان الإيذان بانتهاء البلاغ؛ لذا بكى عمر بن الخطاب وقال: ليس بعد الكمال إلا النقص، (أي وفاة رسول الله ﷺ)^(٨٤) كما حزن كبار الصحابة حين نزلت سورة ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١: النصر]؛ لأنهم فهموا فيها نعيًا للنبي ﷺ، فحين يدخل الناس في الإسلام أفواجا تنتهي مهمته في الدنيا، بل دليل أنه لما سأل عمر ابن عباس ﷺ عن سورة النصر، فأجاب بـ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، قَالَ عُمَرُ مَا: أَعْلَمَ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ^(٨٥).

قال البقاعي في الله يعصد مَكَ مِنْ النَّاسِ [٦٧: المائدة]: أي من أن يقتلوك قبل إتمام البلاغ وظهور الدين. ولقد وقى سبحانه بما ضمن - ومن أوفى منه وعداً وأصدق قيلاً؛ فلما أتم الدين وأرغم أنوف المشركين، أنفذ فيه السم الذي تناوله بخير - قبل سني - فتوفاه شهيداً كما أحياء سعيداً^(٨٦).

كما قال ابن تيمية ضَمَّنَ له سبحانه أن يعصمه من الناس إذا بلغ الرسالة ليؤمنه بذلك من الأعداء.. هذا إنما يكون قبل تمام التبليغ، وفي حجة الوداع تم التبليغ^(٨٧).

ويرى ابن عاشور أن ما ورد في آية ﴿مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾ [١٤٥: آل عمران] كان:

تكاد تتعارض، كما أن كلَّ مَنْ حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه؛ لأنَّ شريعة لا تعارض فيها ألْبَتَّة؛ فالمتحقق بها متحقق بما في الأمر، فيلزم أن لا يكون عنده تعارض، ولذلك لا تجد ألْبَتَّة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجبَ عليهم الوقوف، لكنَّ لَمَّا كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكنَّ التعارضُ بين الأدلة عندهم^(٨٦).

إنَّ المقصود بالتناقض: لغةً: التخالُف^(٨٧)، واصطلاحاً "اختلاف قضيتين بإيجاب وسلب، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداها وكذب الأخرى. نحو: زيد إنسان، زيد غير إنسان. وأصله: قولهم تناقض الكلامان"، إذا تدافعا، كأن كل واحد ينقض الآخر، وفي كلامه تناقض: إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض^(٨٨). ولا يتحقق التناقض بين نصين، إلا باتفاق النصَّين في أمور ثمانية^(٨٩):

١. الموضوع^(٩٠): فلو اختلف النصَّان في الموضوع، نحو: (زيد قائم، بكر ليس بقائم)، لم يتناقضا؛ لجواز صدقهما معاً، أو كذبهما معاً.
٢. المحمول^(٩١): فلو اختلفا في المحمول، نحو: (زيد كاتب، زيد ليس بشاعر)، لم يتناقضا.
٣. الزمان: إذ لو اختلفا فيه، نحو: (زيد نائم ليلاً، زيد ليس بنائم نهاراً)، لم يتناقضا.
٤. المكان: إذ لو اختلفا فيه، نحو: (زيد قائم في البيت، زيد ليس بقائم في السوق)، لم يتناقضا.
٥. الإضافة: إذ لو اختلفا فيه، نحو: (زيد أب أي لعمر، وزيد ليس بأب أي ليكر)، لم يتناقضا.
٦. القوة والفعل^(٩٢): إذ لو اختلفا فيهما بأن تكون النسبة في إحدى القضيتين بالقوة، وفي الأخرى بالفعل، نحو: (الخير في الدن مُسْكِر أي بالقوة، الخير في الدن ليس بمُسْكِر أي بالفعل)، لم يتناقضا.
٧. الجزء والكل: إذ لو اختلفا فيه، نحو: (الزنجي أسود أي بعضه، الزنجي ليس بأسود أي كله)، لم يتناقضا.

لغزو مؤتة، وفتح مكة والخطبة في أهلها، وفتح الطائف، وغزوة حنين، واستقبال وفود هوازن، والصبر على وفاة ابنته زينب رضي الله عنها .

- في السنة التاسعة: إرسال عدد من السرايا، والسير إلى تبوك، ومعالجة قضية مسجد الضرار والمخلفين عن تبوك، واستقبال عدد من الوفود، والصبر على وفاة ابنته أم كلثوم رضي الله عنها .

- في السنة العاشرة: إرسال عدد من السرايا، واستقبال عدد من الوفود، وحجة الوداع، والصبر على وفاة ابنه إبراهيم.

- في السنة الحادية عشرة: بدأ مرض الرسول الكريم ﷺ^(٨٤).

ما قام به ﷺ بين تناوله السم وحدث الوفاة من أعمال عظيمة ينوء عن القيام بها أشد الرجال، فكيف بمنَّ تجاوزَ الستين؟ فلا يُعلم أحد مرَّ به من المصائب والمصاعب والمشاق والأزمات كما مرَّ به ﷺ، وهو صابرٌ محتسب. صبرَ على اليتيم، والفقر، والعوز، والجوع، والحاجة، والتعب، والحسد، والشماتة، وغلبة العدو- أحياناً، وصبرَ على الطرد من الوطن، والإخراج من الدار، والإيحاء عن الأهل، وصبرَ على قتل القرابة، والفتك بالأصحاب، وتشريد الأتباع، وتكالب الأعداء، وتحزب الخصوم، واجتماع المحاربين، وصلف المغرضين، وكبر الجبارين، وجهل الأعراب، وجفاء البادية، ومكر اليهود، وعتو النصارى، وخبث المنافقين، وضرواة المحاربين، وصبرَ على تجهم القريب، وتكالب البعيد، وصولة الباطل، وطغيان المكذبين. صبرَ على الدنيا بزينتها، وزخرفها، وذهبها، وفضتها، فلم يتعلق منها بشيء، وصبر على إغراء الولاية، وبريق المنصب، وشهوة الرئاسة^(٩٥).

لذا فلا مسوغ لدعوى التناقض بين الآية والحديث، وإن كان تصوُّرُه قد يقع في الذهن ابتداءً، ولكن بعد إمعان نظرٍ وتدبرٍ يظهر أن لا تناقض، يقول الشاطبي معللاً سبب ظن بعض الناس وقوع تناقض في الألة القطعية: كل مَنْ تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا

٨. الشرط: إذ لو اختلفا فيه، نحو: [إزاني يرجح بشرط الإحصان-، الزاني لا يرجح بشرط عدم الإحصان-]، لم يتناقضا.

وهذا الأخير دليلٌ منطقي يدفع دعوى التناقض بين النصين محل الدراسة (الآية والحديث)؛ فشرط الحاجة إلى استمرار عصمة النبي ﷺ قتل الناس له الحاجة إلى إتمام البلاغ، فلما تم البلاغ ارتفعت العصمة من الناس، وظهر أثر السم القاتل على المصطفى ﷺ فتوفي شهيداً كما طلب وأحب ﷺ.

ختاماً:

أراد مثير الشبهة إثبات تناقض النص القرآني مع النص النبوي ليزعم خطأ الوعد الإلهي في القرآن الكريم، ولكنه لم يفلح، بل أسهم في إثبات كل تلك الوجوه من الإعجاز، ويكفي بهذا إعجازاً للقرآن الكريم! وصلى الله العظيم ﷺ ابْتَغُوا ثَلَاثَةً مِنْ قَوْلِ قَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ [التوبة]، وهنيئاً للمصطفى ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا، وجعله شهيداً^(٩٣).

نتائج الدراسة:

- ١. ثبتت وفاة رسول الله ﷺ متأثراً بالسم شهيداً كما أحبباً وتمنى.
- ٢. ثبت أن لا تناقض بين الإعجاز الغيبي في الآية الكريمة والحديث المثبت لوفاته ﷺ شهيداً متأثراً بالسم؛ حين اشترطت الآية ربط العصمة من اغتيال الناس بالحاجة إلى البلاغ، فلما تم البلاغ ارتفعت العصمة وحصلت الشهادة.
- ٣. تحقق الوعد الإلهي لنبيه الكريم ﷺ بالعصمة من اغتيال الناس رغم تناول السم؛ فلم يستشهد الرسول الكريم ﷺ فوراً رغم كبر سنه ﷺ، وشدة السم وتركيزه، وتناوله ساخناً على معدة فارغة، وضعف الطب في زمانه، كل تلك العوامل الأصل فيها أن تسرع في وفاته ﷺ ولكن لم تحدث الوفاة بسبب العصمة.
- ٤. ثبت الإعجاز العلمي في الحديث من جهة صحة

انقطاع الأبهى بسبب تناول سم الزرنخ. ٥ لا ينقص من قدر الرسول ﷺ أنه مات شهيداً؛ فقد حمل جميع المكارم والفضائل: فهو سيد النبيين، وهو سيد الصديقين، وهو سيد الشهداء، وهو سيد الصالحين ﷺ.

الهوامش:

- (١) انظر: ما ورد في موقع الكلمة المسيحي تحت عنوان: "هل مات النبي مسموماً؟" على الرابط: <http://www.alkalema.net/kafer/kafer114.htm> علماً بأن النقل تم بتصريف؛ لتصحيح الأخطاء الإملائية، والاقتصار على موضع الشاهد.
- (٢) انظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، حلب، دار السلام (ط١)، ج٣، ص١٤٥٥. ومحمد الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٩٨٤م، (ط٤)، ج١، ص٣٥٥. وصالح آل الشيخ وآخرون، التفسير الميسر، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ٢٠٠٩م، (ط٢)، ص١١٧. وعبد الرحمن الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم، الرياض، دارالمعني، ٢٠٠٤م، (ط٤)، ج٩، ص١٣٤. ود. وهبة الزحيلي، التفسير الوجيز، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م، (ط٢)، ص١٢٠.
- (٣) انظر: عبد الحميد كشك، في رحاب التفسير، القاهرة، المكتب المصري الحديث، (د/ت)، ج٦، ص١١٣٦.
- (٤) انظر: محمود شكري الألوسي، روح المعاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، (ط٥)، ج٥، ص٦١. ومحمد الأمين ابن عبد الله الهرري، تفسير حدائق الروح والريحان، إشراف: هاشم مهدي، بيروت، دار طوق النجاة، ٢٠٠١م، (ط١)، ج٧، ص٣٩٣. ومحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، القاهرة، دار الفكر العربي، (د/ت)، ج٤، ص٢٢٨٦. ومحيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دمشق، دار اليمامة (ط٤)، ج٢، ص٥٢٤. ومحمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد الشهير بالتحرير والتوير، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج٦، ص٢٥٨.

أحمد بن صالح. بإسناد صحيح. انظر: **تغليق التعليق** تحقيق: د. سعيد القرقي، بيروت وعمّان، المكتب الإسلامي ودار عمار، ١٤٠٥هـ، (ط١)، ج ٤، ص ١٦٢ (٤٤٢٨).

وأصح طرق وصله ما رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/١٠ (١٨١٤٦) قال: "حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر، ثنا يوسف بن موسى المروزي، ثنا أحمد بن صالح، ثنا عنبسة، ثنا يونس، عن ابن شهاب، قال: قال عروة: كانت عائشة رضي الله عنها، تقولان رسول الله يقول في مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أَلَمُ اللَّطْعَامَ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوْ أَنْقَطَعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ"، أخرجه البخاري في الصحيح، فقال: وقال يونس. ورواه البيهقي ثقات.

(٩) قال: "على شرط البخاري ومسلم"، ووافقه الذهبي. انظر: الحاكم، **المستدرک**، ج ٤، ص ١٢٤ (٤٣٩٣).

(١٠) قال: "وبصح عنه أنه قال: ما زالت أكلة خبير تعادني، فهذا أوان أن قطعت أبهري". انظر: أبو الفرج ابن الجوزي، **تلبس إبليس**، تحقيق: السيد الجميلي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م، (ط١)، ص ٢٢٨. وموضع الشاهد هنا هو جزم ابن الجوزي بصحة الحديث.

(١١) انظر لمحمد ناصر الدين الألباني الكتب الآتية: **صحيح الجامع وزيادته**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، (ط٣)، ج ١، ص ٤٩٩ (٥٦٢٩)، وتحقيق **مشكاة المصابيح** للتبريزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، (ط٢)، ج ٣، ص ٢٩٨ (٥٩٦٥)، و**صحيح سنن أبي داود**، الرياض، مكتب التربية العربي، ١٤١٠هـ، (ط١)، ج ٣، ص ٨٥٥ (٤٥١٢).

(١٢) انظر: شمس الحق العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م، (ط٣)، ج ١٣، ص ٢٧.

(١٣) الآلوسي، **روح المعاني**، ج ١، ص ٤٠٣.

(١٤) محمد بن مفلح المقدسي، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، تحقيق: عصام الحرساني، بيروت، دار الجبل، ١٩٩٧م، (ط١)، ج ٣، ص ٢٠٢.

(١٥) محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم الشهير**

(٥) علي بن أحمد الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، (ط١)، ج ١، ص ٢٠٤. وقال المحقق في الحاشية: "بدون إسناد. والحديث المروي عن عائشة في هذا الشأن يختلف سياقه عن هذا تماماً. فأخرج الحاكم في المستدرک (٢/ ٣١٣) عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآيات: **اللَّهُ يَعْصِمُ مَكَّ مِنْ النَّاسِ**". وأخرجه الترمذي في التفسير (٣٠٤٦) بلفظ الحاكم، وقال: هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق ولم يذكروا فيه عن عائشة.

والحديث الذي فيه ذكر سعد بن أبي وقاص وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد (٢٨٨٥) وفي كتاب التمني (٧٢٣١) وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٤٠/ ٢٤١٠) وأخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٥٦) وكل هذه الأحاديث ليس فيها ذكر الآية.

(٦) جزم بذلك ابن حجر العسقلاني في **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م، (ط١)، ج ٦، ص ١٣. وانظر: أ.د. مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، الشارقة، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م، (ط١)، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٧) انظر: أ.د. مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج ٢، ص ٣٥١. وورد في الآثار أن للآية الكريمة اثني عشر سبب نزول، انظر دراسة نقدية لها عند: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م، ج ١٢، ص ٤٢. ومحمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، بيروت، المكتبة العصرية، (د/ت)، ج ٩، ص ١٨١. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٨) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٢٨)، وأخرجه معلقاً بصيغة الجزم: "عن يونس، عن الزهري، قال عروة، قالت عائشة". ووصله ابن حجر عن طريق الإسماعيلي، عن محمد ابن أحمد بن سعيد البزاز الواسطي، عن أحمد بن صالح نحوه. ثم قال: أخرجه الحاكم في المستدرک من هذا الوجه. ورواه أبو بكر البزار في مسنده، عن أحمد بن منصور، عن

- بتفسير المنار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م، (ط١)، ج ٤، ص ٢١٧.
- (١٦) تمام الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الَّذِي يَنْفَسِي يَدَ طَوَّالٍ لَأَنْ جَالَ مَرْلَمُؤُ مَنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَخْلُفْتُ عَنْ سَرِّ يَتَغَزُّ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَلْوٍ دَدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ». رواه البخاري في باب تمنى الشهادة (٢٧٩٧).
- (١٧) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٤م، (ط١)، ج ٥، ص ١٦٣. وانظر: سراج الدين الشهير بابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، (ط١)، ج ٦، ص ٣٥٢. والرواية الواردة في المتن ذكرها ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، (ط١)، ج ٤، ص ٤٦٠ (٣٩٠١).
- (١٨) أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م، (ط١)، ج ٩، ص ٥٣. وانظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، الرياض، دار طيبة، ١٩٩٧م، (ط٤)، ج ٧، ص ٢١٣.
- (١٩) الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٢٤٢. والغريب أنه يقول بوفاته ﷺ مسموما، انظر هامش رقم ١٣.
- (٢٠) قال: "فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م، (ط٢٧)، ج ٣، ص ٢٩٩. وإسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٨م، (ط٧)، ج ٤، ص ٢١٠. وأحمد ابن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٢٦٤ (١٦٤٤). ولم أجده في المصادر الأصلية.
- (٢١) قال: "فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: موسى بن عقبة، المغازي، جمع: محمد باقشيش، المغرب، جامعة ابن زهر، ١٩٩٤، (ط١)، ص ٢٥٥.
- (٢٢) قال: "كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة". انظر: عبد الملك ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، بيروت، دار الخير، ١٩٩٢م، (ط١)، ج ٤، ص ٣١٠.
- (٢٣) قال: "قامت رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، دار عالم الكتب، ١٩٨٤م، (ط٣)، ج ٢، ص ٦٧٩.
- (٢٤) قال: "وتوفي رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٧م، (ط١)، ج ٢، ص ٢٠٣.
- (٢٥) قال: "وأراد الله له الشهادة بتلك الأكلة". انظر: علي بن خلف الشهير بابن بطلال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م، (ط٢)، ج ٥، ص ٣٧٤.
- (٢٦) قال: "فجمع الله لنبيه بين النبوة والشهادة؛ مبالغة في الترفيع والكرامة". انظر: أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، تحقيق: محيي الدين مستو، بيروت، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ، (ط١)، ج ١٨، ص ٦٢.
- (٢٧) قال: "فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة". انظر: ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٤، (ط٤)، ج ٢، ص ٩٨.
- (٢٨) قال: "وكيف يجوز أن يستعان بهم [أي: اليهود] على شيء أو يؤقتوا على أمرٍ من أمور المسلمين وقد سموا رسول الله ﷺ في الذراع؟ ولمّا حضرته الوفاة قال: "ما زالت أكلة خبير تعاونني وهذا أوان انقطاع أبهري". انظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: طه سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، (ط١)، ص ١٨٣.
- (٢٩) قال: "قامت رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: رياض مراد وآخرون، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩م، (ط١)، ج ١، ص ٢٩١.
- (٣٠) قال: "قامت ﷺ شهيداً". انظر: أحمد بن علي المقرئ،

ص ٦١. ثم ذكر بالتفصيل قصص تسع محاولات لاغتياله ﷺ تحت عنوان: "أعداؤه يحاولون قتله" وهي محاولات: أبي جهل، والنضر بن الحارث، ومعمر بن يزيد، وكلد بن أسد، وأبي لهب، وسراقة بن مالك، ودعثور، وشيبة بن عثمان، وأريد بن قيس.

ويمكن إضافة محاولات قتله في الغزوات، ومحاولة بني النضير إلقاء حجر عليه، وسحره، وفضالة (في فتح مكة) وإرسال ملك الفرس من يحاول قتله، واليهودية التي قدمت الشاة المسمومة، ومكر المنافقين كما حدث أثناء رجوعهم من تبوك.. وانظر أيضاً: أحمد بن علي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، (ط ١)، ج ٢، ص ٤٣٢.

(٣٩) رواه الترمذي في سننه، تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة (٣٠٤٦)، وقال: حديث غريب. ورواه الحاكم في المستدرک، ج ٢، ص ٣٤٢ (٣٢٢١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والقبة من الخيام: بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب، كانت توضع في المسجد للاعتكاف فيها. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، الدمام، دار ابن الجوزي، ٢٠٠١م، (ط ١)، ج ٤، ص ٣ (قبة).

(٤٠) هو المستشرق (هيلر)، انظر: د. مراد هوفمان، يوميات ألماني مسلم، ترجمة: عباس العماري، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات، ١٩٩٣م، ص ١٢٢.

(٤١) انظر: أ.د. إبراهيم وجيه وآخرون، الطب الشرعي والسموميات، الإسكندرية، منظمة الصحة العالمية، ١٩٩٣م، (ط ١)، ص ١٨٥. وسدني سميث وعبد الحميد بك عامر، الطب الشرعي في مصر، بإشراف: فتحي العقيلي، طبعة خاصة بالمؤلفين معتمدة للتدريس في كليات الطب المصرية، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٣٤.

(٤٢) انظر: عبد الوهاب البطراوي، الطب الشرعي والسموم، عمّان، دار حامد، ١٩٩٨م، (ط ١)، ص ٦٤.

(٤٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهيئة، باب قبول الهدية من المشركين (٢٤٧٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم (٢١٩٠). ومعنى قوله: قَمَا

إمتاع الأسماع، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م، (ط ١)، ج ٢، ص ١٢٩.

(٣١) قال: "والسر في ذلك: أن ينضم له ﷺ مع النبوة درجة الشهادة أيضاً". انظر: جلال الدين السيوطي، شروح سنن ابن ماجه، تحقيق: رائد بن صبري، الرياض، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٧م، (ط ١)، ج ٢، ص ١٣٠٦. وذكر نحوه في كتابه: الخصائص الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٣٢) قال: "قتوفي رسول الله ﷺ شهيداً". انظر: محمد بن يوسف الصالح، سبل الهدى والرشاد، القاهرة، وزارة الأوقاف، ١٩٩٧م، (ط ١)، ج ٥، ص ١٣٤.

(٣٣) قال: "جمعاً له بين السعادة والشهادة". انظر: ملا علي الفاري، مرقاة المفاتيح، تحقيق: صدقي العطار، مكة المكرمة، المكتبة التجارية (د/ت)، ج ١٣، ص ٣١٤.

(٣٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهيئة، باب قبول الهدية من المشركين (٢٤٧٤)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم (٢١٩٠).

(٣٥) رواه الحاكم في المستدرک، ج ٤، ص ٣٤٤ (٤٩٦٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأحمد في المسند بنحوه ج ٣٩، ص ٣٥٦ (٢٣٩٣٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه: رجاله ثقات، وقد اختلف فيه على الزهري.

(٣٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج ١١، ص ٢٠٤ (١١٥٠٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٦١١ (١٤٢٦٢): "إسناده حسن والحسُّ مُسَّسٌ الحمِّيُّ وَلَ مَا تَبَدَّأ". انظر: محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٨٧١ (حس).

(٣٧) رواه أحمد في المسند، ج ٦، ص ١١٦ (٣٦١٨)، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه: "صحيح على شرط مسلم". ورواه أبو يعلى في المسند، ج ٩، ص ١٣٢ (٥٢٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٧، ص ١٢ (١٢٥٦٥): رجاله رجال الصحيح.

(٣٨) جعفر بن محمد الفريابي، دلائل النبوة، تحقيق: عامر صبري، مكة المكرمة، دار حراء، ١٤٠٦هـ، (ط ١)،

وسحر كامل، الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د/ت، ط)، ص ١١٤. وانظر: Valegja, Kuligk, American Academy of clinical toxicology, European association of poisons centers and clinical toxicologist, Gastric lavage and Cathartics. 2004.

(٥٣) انظر: د. سمير القماز، علم السموم، عمان، دار صفاء، ٢٠٠٣، (ط١)، ص ١٧٠. و. أ.د. إبراهيم وجيه وآخرون، الطب الشرعي والسموميات، ص ١٨٦.

(٥٤) انظر: سدي سميت وعبد الحميد بك عامر، الطب الشرعي في مصر، ج ١، ص ٥٣٧. وانظر أيضاً: ج ١، ص ٥٤٣.

(٥٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٤٥٥. والواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٣٤. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٠٦. وابن حجر، فتح الباري، ج ١٦، ص ١٤.

(٥٦) قال ابن حجر في فتح الباري، ج ٨، ص ١٥١: "الجمهور على أن عمره ﷺ حين وفاته كان ثلاثاً وستين سنة".

(٥٧) انظر: سدي سميت وعبد الحميد بك عامر، الطب الشرعي في مصر، ج ١، ص ٥٠٩. ود. محمد مرسي وسحر كامل، الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم، ص ١١٤. و. انظر: ص ١٠٢٧ + ٢٠٢٤ من المرجع الطبي التالي: M. Haddad, Poisoning and drug overdose, 2nd edition, W. Bsaunders company.

(٥٨) انظر ص ٦٧٦ من المرجع الطبي التالي: C. K. Parikh, Parikh's text book of medical Jurisrudence and toxicology, Delhi, India, CBS Pulpishers & distributors, 1995.

(٥٩) انظر: أ.د. إبراهيم وجيه وآخرون، الطب الشرعي والسموميات، ص ١٨٦.

(٦٠) انظر: أ.د. إبراهيم وجيه وآخرون، الطب الشرعي والسموميات، ص ١٨٥. وشريف الطباخ ود. أحمد جلال، موسوعة الفقه والقضاء في الطب الشرعي، ج ١، ص ٤٢٧. وسدي سميت وعبد الحميد بك عامر، الطب الشرعي في مصر، ج ١، ص ٥٤٠. وعبد الوهاب البتراوي، الطب الشرعي والسموم، ص ٦٢.

زَلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، أُلْغِرَ فُ أَثَرَهَا"، إمّا بتغير لون اللّهوات، وإمّا بنتوء -أو تحفیر- فيها. واللّهوات: جمع لهاء، وهي اللحمه الحمراء المعلقة في أصل الحنك. انظر: أبو العباس القرطبي، المفهم، ج ١٨، ص ٦٣.

(٤٤) انظر: أ.د. مجاهد أبو المجد، الإعجاز العلمي في حديث الأبرهر، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بتاريخ ٢٢ - ٢٤ آذار ٢٠٠٤م، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، دبي، ص ٤.

(٤٥) انظر: ديناميكية السموم والملوثات البيئية واستجابة الجهاز التنفسي والدوري لها، أ.د. فتحي عبد العزيز عفيفي، القاهرة، دار الفجر، ٢٠٠٠م، (ط١)، ص ٥٧. وانظر: Pitchai Balakumar & Jagdeep Kaur, Arsenic Exposure and Cardiovascular Disorders: An Overview, Cardiovascular Toxicology, December 2009.

(٤٦) أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية، تحقيق: صالح الشامي، بيروت، الكتب الإسلامية، ١٩٩١م، (ط١)، ج ١، ص ٥٣٤.

(٤٧) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم؟ (٢٩٩٨).

(٤٨) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤٩) ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م، (ط١)، ج ٣، ص ٣٩٧.

(٥٠) موسى بن عقبة، المغازي، ص ٢٥٤ والنهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان، بينما النهش: أخذه بالأسنان جميعاً. انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث، ج ٥، ص ٢٨٥ (نهس).

(٥١) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج ٤، ص ١٦.

(٥٢) انظر: سمير عبد العزيز غنيم، التسمم الغذائي الحاد والتسمم طويل المدى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م، (ط١)، ص ١٢٦. وشريف الطباخ ود. أحمد جلال، موسوعة الفقه والقضاء في الطب الشرعي، المركز القومي لإصدارات القانونية، القاهرة (د/ت، ط)، ج ١، ص ٤٢٧. وسدي سميت وعبد الحميد بك عامر، الطب الشرعي في مصر، ج ١، ص ٥٠٨. ود. محمد مرسي

- و ٦٤. ود. محمود مرسي وسحر كامل، **الموجز في الطب الشرعي وعلم السموم**، ص ١٢٦.
- (٦١) ابن عبد البر القرطبي، **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٣هـ، (ط ٢)، ص ٥٣ (٥٥).
- (٦٢) انظر: محمد الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٦٩.
- (٦٣) انظر: ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**، ج ٤، ص ٨١.
- (٦٤) الزرقاني، **شرح المواهب اللدنية**، ج ٨، ص ٢٦٠.
- (٦٥) انظر: أ.د. مجاهد أبو المجد، **الإعجاز العلمي في حديث الأبرار**، ص ٥.
- (٦٦) انظر: د. سمير القماز، **علم السموم**، ص ٢٠٥. وأ.د. فتحي عبد العزيز، **ديناميكية السموم**، ص ٢٢٨. وانظر أيضاً:
- Robert H. Dreisbach, **Hand book of poisoning**, Librairie du Liban, Lebanon, 1987, p. 222.
 - Lippincott Williams and Wikins, **Arsenic and Arcine gas**, E.martin caravati, Medical Toxicology, page, 1396.
 - **Medical Jurisprudence and toxicology**, p. 745.
- (٦٧) رواه مسلم، **صحيح مسلم**، باب: استحباب رمي جمره العقبة يوم النحر راكباً (١٢٩٧). قال النووي: فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ. انظر: يحيى بن شرف النووي، **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج الشهير بشرح النووي على مسلم**، بيروت، دار الخیر، ١٩٩٤م، (ط ١)، ج ١٧، ص ٣١٣.
- (٦٨) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٦٤٣.
- (٦٩) رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس.. (٦٢٨٦). ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل فاطمة...
- (٧٠) رواه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ.. (٣٦٩١). ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨٢).
- (٧١) رواه البزار في **المسند**، ج ١، ص ٤٠٦ (٢٦٤٧). ووثق روايته الهيثمي في **مجمع الزوائد** ج ٣، ص ١٠٤ (٤٠٣٦).
- (٧٢) رواه البزار في **المسند** ج ١، ص ٢٢٩ (١٣١٧)، ووثق روايته الهيثمي في **مجمع الزوائد** ج ٨، ص ٥٩٣ (١٤٢٤٦).
- والأشطان: الدبال، وقيل: الشطن: الحبل الطويل الشديد القتل يستقى به وتشد به الخيل. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٤، ص ٢٢٦٤.
- (٧٣) رواه أحمد في **المسند**، ج ٢٥، ص ٣٧٦ (١٥٩٩٧)، قال شعيب الأرناؤوط في تخريج الحديث: "حديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه، وهذا إسناد ضعيف".
- (٧٤) سبق تخريجه، انظر حاشية رقم (١٥).
- (٧٥) رواه أحمد في **المسند**، ج ٢٩، ص ٤٢٥ (١٧٨٩٤)، قال شعيب الأرناؤوط في تخريجه: صحيح لغيره.
- (٧٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٥، ص ١٦٣. والحديث في المتن سبق تخريجه: انظر حاشية رقم: (١٥).
- (٧٧) انظر: برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، (ط ١)، ج ٨، ص ١٧٤.
- (٧٨) انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ٥، ص ١٨٩.
- (٧٩) رواه البخاري، **صحيح البخاري**، باب علامات النبوة.. (٣٤٢٨).
- (٨٠) البقاعي، **نظم الدرر**، ج ٢، ص ٤٢٩.
- (٨١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **منهاج السنة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ، (ط ١)، ج ٧، ص ٣١٣.
- (٨٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٤، ص ١٤٤.
- (٨٣) محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٢م، (ط ٢)، ج ٥، ص ٤٤٨.
- (٨٤) انظر للأدلة على هذا الترتيب ومزيد من الأحداث وتفاصيلها: وحيد بن عبد السلام بالي، **الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية**، القاهرة، دار الفوائد

- ودار ابن رجب، ٢٠٠٧م، (ط٢)، ص ٥٣، ٨٩.
- (٨٥) د. عائض القرني، محمد ﷺ كأنك تراه، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م، (ط١)، ص ٣٢.
- (٨٦) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، محمد عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، (د/ت، ط)، ج ٤، ص ٢٩٤.
- (٨٧) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، (ط١)، ص ٨٤٦، (نقض).
- (٨٨) محمد عبد الرؤوف المناوي، التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ، (ط١)، ج ١، ص ٢٠٨ (فصل النون).
- (٨٩) انظر: محمد سعيد مجاهد، التعارض والترجيح بين النصوص، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٢٤. والحواشي الثلاث الآتية مقتبسة منها.
- (٩٠) أول ركني القضية، كالمبتدأ ونحوه (في الجملة الاسمية)، والفاعل ونحوه (في الجملة الفعلية) وسُميَ موضوعاً؛ لأنه وُضِعَ ليُحكَمَ عليه.
- (٩١) ركن القضية الثاني، كالخبر ونحوه (في الجملة الاسمية) والفعل ونحوه (في الجملة الفعلية). وسُميَ محمولاً؛ لحمله على الموضوع.
- (٩٢) القوة: قابليته لذلك، والفعل: تحقق ذلك. فالخمر في الدن (الوعاء المخصص لنبيذ الخمر) فيه قابلية للإسكار لو شرب، وهو في الوعاء دون أن يُشرب: ليس بمسكر.
- (٩٣) محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م، (ط١)، ج ١، ص ١٤٤.